# رَوحُ الفرح

خواطر

شعبان بوخالفة

تنويه: ما قبل الإهداء..!

و ما ذلك على الله بعزيز...

غدا سينتصر صوت الحق في فلسطين، يذيع و يشيع، تعانق القلوب التي ذاقت من الألم ما لا يخطر ببال في نهاية المطاف طعم الحب تنجلي الليالي الحالكة و تتبدد الهواجس، غدا ستحكي الجارة لجارتها بأن سواعد السوريين قد أعادتها ياسمينة منفردة الجمال تماما كما كانت، يولي الأسى من دون رجعة، غدا ستشفى جراح اليمن و تقرع أجراس الليالي الملاح، يسترد لقبه السعيد الذين انتزعته منه التعاسة بالقوة! غدا لا يغدو ذكر كلمة البلاد العربية علة و آفة! غدا سيجعل لنا الرحمٰن على قدر يقيننا به منفذا..

# اهداء

كنت أسير أعرجا حتى قابلت أملا على هيئة انسان، أخبرني بأننا حين ننكسر ثم نلجأ إلى الرحيم نزهر من جديد و ننتصر و حين تسقط دموعنا حزنا و نفر إلى ركن الله نجد عنده من مساحات الضوء ما يكفي ليغمر حياتنا نورا، إلى الشخص الذي علمني بأن الضيق قد يكون مقدمة لقصة جميلة جدا...

كتابات شهاد

لم يسبق لي أن ذرفت دموعي أمام الرحمٰن و عدت جارا لأذيال الخيبة، لم يسبق لي مطلقا أن بحت لله بأنيني و عدت منكسرا، كنتُ في كل مرة أهرب اليه أجد نفسي التي أضعت الطريق إليها! ينتشلني من أي ألم غرقت فيه أو بالأحرى من كل بؤس أحكم قبضته على قلبي، يحول الحرب الضروس التي تقرع طبولها بين أزقة روحي إلى حب! إنه الإلٰه العظيم الذي لا يرضى لي الهلاك مطلقا، يقودني في كل مرة إلى ما يجعلني في قمة الفرح، يمسح حساباتي التي يحيط بها الإجهاد من كل جانب و يبدلها باختياراته الملائمة...

" و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام.. "

لا تراهن أبدا على البشر، تقطر من بين أعينهم شظايا الغدر، قد يتركونك في منتصف الطريق قد يفرون و أنت في منتصف الحريق، لا تراهن أبدا يا عزيزي على البشر فالتعلق بهم مآله دمعة طاعنة في السن و خيبة في أعماق الروح و ندبة عميقة بالقرب من وتين القلب، راهن على رب البشر فهو الذي يبقى حينما يفر الجميع، هو الذي يقول أهلا عندما يصيح الجميع في وجهك مهلا لقد سئمنا منك!

الدنيا لن تتوقف مطلقا عند موت أحدهم، حتى أشرف و أجل مخلوق على هذه الأرض محمد صلوات ربي و سلامه عليه قد مات و لم تتوقف الحياة، كانت واقعة أليمة للغاية، جعلت قلوب الصحابة الكرام تبكي ألما، محمدٌ الذي أدى الرسالة على أكمل وجه، دافع عن الإسلام بشدة، نصر المظلومين، واسى المكروبين و المنكسرين، ذلك الرجل صاحب القلب النبيل قد مات و لكن الله حي، باقٍ، لا يموت...

عدت اليك من حرب ضروس خضتها ضد نفسي، رفعت رأسي عاليا و ذرفتك مع دموعي في سجدة قائلا هي لي نبض يا رحمٰن، أيقنت بأنه سينقلني إلى بر الأمان، واصلت المسير و في قلبي حلم أسير يمشي أعرجا، حسنا لأننا كثير ما نعمى في الحب صدقتك للوهلة الأولى عندما أخبرتني بأن الحليب أسود، عانقت طيفك مطولا و أنا أردد ايكادولي، ايكادولي، أخبرت خالقي بأنني أصبحت مجرد روح ينخرها الغياب و يكبلها الفقد، سمعته صوتا يخبرني: لازال بين أروقة قلبك حلم مضيء! سقطت من بين رموش عيني دمعة رجاء و قلت لأنك الله أغثني فأتيت بالعون لقلبي! فلتغفري لي لأنني جعلتك استثناء! مضيت بالأمس القريب مرددا"أنت لي، أنت لي" و لكنني اكتشفت في وقت متأخر من المر! بأنني أحببتك أكثر مما ينبغي...

صلاتك...

حسنا، دعنا نتفق يا عزيزي القارئ بأن الشقاء يرتبط ارتباطا وثيقا بالنفور من الصلاة، أحيانا تشعر و كأن نبضات قلبك تختنق، تصعق من كمية الأسى التي تجتاح قلبك، تخترق الأوجاع قفصك الصدري لتسكن روحك! قد تتلقى رصاصة مصوبة نحو أحلامك فتعود و الذبول يعتريك! ثم تستفيق أخيرا من غفلتك لتدرك بأن المعنى الأقرب للصلاة هو أنها"سد منيع يفصل بين نفسك المطمئنة و نفسك الأمارة بالسوء.."

سلاما سلاما....

اردع كل همسات البؤس التي تنطلق من حنجرة نفسك الأمارة بالسوء! كن خير دليل لنفسك، أكرمها بالثبات على دين الحق، دللها بالاقبال على الخيرات و حصنها بالنفور من كل فعل تشوبه شائبة، مد يدك نحو كل شيء من شأنه أن يضيف شيئا لصحيفتك، اجعل الآخرة نصب عينيك! اعمل لها، ليوم بهيج، ليوم يكون فيه سرورك أبديا، هيئ نفسك ليوم عظيم يكتظ بالسلام، اجعل لك مكانا في الجنة...

# غذاء الروح

لا يختلف اثنان على أن تأمل آيات العظيم عز و جل هو الغذاء المحبب للروح، أن تنصت بقلبك لكل تلك الكلمات التي قالها عزيز مقتدر، تطبطب بها على روحك التي قد تتمرد عليك في أي لحظة، تجعل تلك الآيات مرهما و ضمادا لجراحك و كسورك الداخلية، تنثر بها الضوء على آمالك و أحلامك التي أصابها كدر! ترفع بها من شأنك، تقاوم بها كل خيبة تنصبها لك الحياة كفخ! تصارع بها كل يأس متربص و تصرعه بها، تجعل لحياتك عنوانا مميزا بتلك الآيات القرآنية، فتمضي و أنت تردد القرآن كائن حي يعيش فينا....

"فدعا ربه أني مغلوب فانتصِر" الدعاء نقطة نهاية كل وجع محدق و ألم متربص، القادر على كل شيء لن يجعلك تصارع المعاناة و أنت تدعوه بِوتين قلبك الذي اقتحمه الأنين! سينتصر لك في الوقت الذي يراه مناسبا، هو يعلم ما في الصدور، يرى محاولاتك المتكررة للعودة اليه، يرى الانكسارات التي أثقلت قلبك و أقلت ساحبة البؤس و جعلتها تخيم فوق روحك، بصير هو بتلك الجراح التي تزداد عمقا بداخلك، يرى دمعتك التي كتمتها عن الجميع ثم كتبتها و بحت بها في سجدة ليلية...

أريد أن تسافر كتاباتي بلا تأشيرة إلى أبعد نقاط الأرض، أن تزور موريتانيا فتلقي نظرة على الأحبة هناك و هم يلقون قصائدهم، أن أعانق بكلماتي أشاوس المغرب، أن أنثر حروفي على أرض الشهداء التي في كل شبر منها حكاية جميلة، أن أعرج بعباراتي على تونس الخضراء بطبيعتها و روح ساكنيها، أحط الرحال بليبيا التي فيها من الحكايات ألف ليلة و ليلة من الجمال و البهاء، أن أطمئن على الأهل هناك في سوداننا، أن أزور مصر التي تفوح حضارة و عراقة فأمشي على ترابها الحنون و أترك العنان لعيني بأن تتفسح و تفصح عن حبها، أضع قلبي في القدس التي نزفت كثيرا، اغتالوا ضحكاتها، شردوا براءتها، قصفوا فيها القلوب و لكنها بنفس القدر صمدت، أريد أن تصل كلماتي للشام بورودها الآسرة، بسحرها الذي يجعل القلب في أقصى درجات الغبطة و السرور، أريد أن ألقي نظرة مقربة عن جراح سوريا التي بلغت من العمر عتيا و ندبات العراق التي ظلت ظاهرة للعيان و صرخات يمننا الذي عاد تعيسا بعدما كان بالأمس القريب سعيدا..

يصف جمال زوجته قائلا...؟

أعشق اسمي بلسانك، أحب بحة صوتك لحد بعيد، حشرجة صوتك، أحبك حين تنفعلين ثم سرعان ما يكسو الهدوء ملامحك، أحب ثرثراتك بشدة أحيانا تغارين فتطلقين العنان لنكدك لكي لا التفت لسواك، تدركين بأن قلبي مكبل بخجلك الطاغي على وجنتيك، تدركين بأن العالم في حضورك يغدو أكثر نبضا، أن يكون شخص واحد فقط جمهورك الغفير فتلك قمة الحب، حسنا الحب هو أن تجعل قلبك يلتفت لجمال الروح حصرا لذلك لم أكن أرى أي عيب فيك حتى تلك الندبة على يدك اليسرى لم أكن أراها إلا رسما مذهلا زادك شيئا من البهاء، تتناسقين بشدة مع مسقط رأسك فكلاكما آسر، لك نصيب عظيم من جمال الياسمين الشامي الذي يلقي بسحره على القلوب، كلاكما تلقيان حفنة سكينة على النبض الذي أصابه شيء من الضجيج..

"شخص لا يهمه أمري لا يلزمني"

قاعدة مميزة للغاية، هي بمثابة تحصين من نيران الفقد و الخذلان و الخيبة، الصديق الذي لا تجد يده ممدودة اليك أثناء سقوطك ليس صديقا، الحبيب الذي يبخل عليك بالاهتمام ليس حبيبا، حاول أن تبقي في قلبك الأشخاص الأكثر اشراقا، أولئك الذين يؤلمهم ما يؤلمك و يسعدهم ما يسعدك، أطرد من قلبك كل من سولت له نفسه أن يتسبب في دموعك، اطرد من قلبك كل من يقف عقبة في طريقك نحو أحلامك، حارب كل من يراك قابلا للاستبدال، كن عزيزا في عين نفسك، كن لنفسك سندا باختياراتك الصائبة، اختر لنفسك اشخاصا يليقون بك، يتناسقون معك..

هو لم يقل لها أحبك جدا و لكنه عض على يده عندما أخبرته بأن الحمى قد اجتاحت جسدها، هو لم يقل لها أنا أحبك و لكنه أخبرها بأن تجعل ابتسامتها حرة على الدوام، لم يبح لها بحبه و لكنه كان يثور غضبه و يشتعل قلبه غيرة إذا التفتت لغيره أو حتى إذا ابتسمت لسواه! كان يسألها عن حالها كثيرا، يدقق في تفاصيلها، يحفظ لها تلك التفاصيل التي قد تبدو تافهة في عين شخص آخر! لونها المفضل، الأشياء التي تجعل مزاجها مميزا، الأماكن التي تضع فيها قلبها! لقد كان يحبها بطريقته الخاصة...

يا الله...

كثيرا ما تجذبنا الشهوات فنميل اليها بقلوبنا التي كبلتها الفتن، نضع بذلك ارواحنا على المحك، نأكل سما خلناه عسلا، نؤدي بأيدينا إلى التهلكة و لكنك رحيم بنا في كل مرة نتهور فيها و نقدم فيها على قطع نصف المسافة إلى الهلاك! نتقبل عودتنا في كل مرة و تجيب دعوتنا، ترمم قلوبنا التي كسرناها بأيدينا، تنثر لطفك عليها ثم تجعل أرواحنا مزهرة من جديد، الٰهي، هذه قلوبنا منك و اليك فاجعلها نقية تقية...

أ يقبلني بندوبي الداخلية..؟

نعم

هل يفرح بعودتي و أنا الذي غصت في السوء..؟

أكيد

هل يرمم كسور قلبي التي كنت أنا سببا في انكسارها؟

بل يجعلها أجمل...

إذا عدت و اقترف قلبي السوء هل يقبلني؟

لو أذنبت ألف مرة و بنفس القدر عدت سيقبلك..

ما الذي جعلك توقن بأنه سيقبلك في كل مرة؟

هو الذي قال في كتابه الكريم"قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم...

## ميثاق غليظ..

ادخر كل الدلال و الحب لزوجتك فهي التي سيكون بينك و بينها ميثاق غليظ، دعك من الطرق الملتوية و المسارات المهترئة التي عادة ما تكون نهايتها دمعة خيبة، أن تكرم زوجتك، تعينها على أمور الحياة مثلما تسندك و تساندك، أن تراها طفلة في كامل مراحل عمرها، أن تناديها بمدللة قلبي و دليله، أن تَسْكُنَ قلبها و تنثر عليه السكينة بأفعالك، أن تجعل خواطرها طيبة دائما، أن تجعلها ضاحكة مستبشرة على الدوام فتلك قمة الحب..

دمعة توبة..

دموع التوبة جمالها أخاذ، أن تسجد بقلبك المنسكر للرحمٰن و أنت موقن بأنك ستعود و في قلبك أمان و اطمئنان، أن تلجأ لله بأحزانك و تفر اليه بأوجاعك و لسان حالك يقول عبدك الضعيف قد اليك فلا تطردني عن جنابك تحاول أن تبوح له بكل الحكايات التي تجول بخاطرك و لكن تجد دمعتك تختصر كل شيء نيابة عن كل تلك الأوجاع المكبوتة...

نداءً خفيا...

اجعل لك موعدا تلقي فيه الضوء على أروقتك الداخلية، تأنق جيدا، دع قلبك يتوضأ ليبدو مبهجا، استقبل القبلة و كلك يقين بأن نهاية أحزانك قد اقتربت و في النفس الوقت اقتربت روحك من معانقة ذلك الضوء الذي طال انتظاره، وكل مهمة ترميم تلك الكسور للعلي القدير و ستنبهر كيف له أن يجعل رمشة العين تلك فرصة للترميم و التغيير...

محيط بنا، يرانا في كل خطوة نخطوها، محيط بنا يعني أنه يعلم تفاصلينا الصغيرة و الكبيرة، يرى محاولتنا الحثيثة للعودة اليها، يرى الندم الملقى على قلوبنا، بصير هو بنوايانا، محيط بنا يعني أنه يسترنا من العيوب و لا يفضحنا، ينثر الضوء على أزقتنا التي تصارع السواد، يرى دموعنا المكتومة! يقرأ كلماتنا المكتوبة، الله، كلمة واحدة فقط و لكنها تفلح في كل مرة بتغيير احداثياتنا بشكل مذهل، حينما نردد على ألسنتنا لفظ الجلالة، نرتفع و نسمو...

و ما ذلك على الله بعزيز...

غدا سينتصر صوت الحق في فلسطين، يذيع و يشيع، تعانق القلوب التي ذاقت من الألم ما لا يخطر ببال في نهاية المطاف طعم الحب تنجلي الليالي الحالكة و تتبدد الهواجس، غدا ستحكي الجارة لجارتها بأن سواعد السوريين قد أعادتها ياسمينة منفردة الجمال تماما كما كانت، يولي الأسى من دون رجعة، غدا ستشفى جراح اليمن و تقرع أجراس الليالي الملاح، يسترد لقبه السعيد الذين انتزعته منه التعاسة بالقوة! غدا لا يغدو ذكر كلمة البلاد العربية علة و آفة! غدا سيجعل لنا الرحمٰن على قدر يقيننا به منفذا..

المرأة المناسبة...

المرأة المناسبة تأتي كالغيث الذي يتساقط على قلبك فيجعله مروجا و أنهارا بعد أن كان في صراع حاد مع الجفاف، المرأة الصالحة تفلح في تحويل احداثيات حياتك بشكل مذهل إنها تنثلك من البؤس إلى الأنس، تجعلك مقبلا على الحياة بروح يغمرها الأمل و السرور بعدما كنت تضع أحلامك في زنزانة مرعبة! تجعل حزنك يندثر و فرحك ينتشر، تأتي كالغيمة الناصعة التي تقيك شمس الفقد الحارقة...!

لا تتأفف أبدا من والديك، مهما كانت أفعالهم ناقصة في نظرك، انهم يستحقون أن تكون خاتمة حياتهم مرصعة بالألماس، حري بذلك الأب الذي كافح تجعدات قلبه من أجلك أن يتربع على كرسي الحب بداخلك و نزع من روحه لكي لا تصاب روحك بالبرد، و حري بتلك الأم التي وهبت شبابها للسهر لتكون أنت في نعمة، حري بتلك الماسة أن تظل ملكة جمال أحلامك، مهما بلغت بك القوة لا تصرفها في التجبر على والديك، انهما كل الأشياء اللطيفة التي ظلت في عالمك المحاط بالأذى

جاء في قصص الصالحين أنهم كانوا يعزون من فائته صلاة و يبكون إذا فرطوا في النوافل لأنهم يدركون بأن الصلاة "صلة عظيمة" بين الخالق و المخلوق تتنزل المسرات فيها على أرواحهم كأنها وابل من المطر، يقومون الليل و عيونهم تكتظ بالدموع خوفا من سخط الله و رجاءً و طمعا في رضاه، كانوا برغم اقبالهم على الخيرات يخافون الله بشكل لافت، يدعونه ليلا نهار، سرا و جهرا بأن يكلل قلوبهم برضاه! كان لنا رجالٌ نفتخر بهم بشدة، اليوم ترانا نضيع صلواتنا المفروضة، نهمل كتاب الله الكريم، نقبل على الفتن ثم نردد"إن الله غفور رحيم"

و ما ظلمناهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون، تمر على الإنسان يميل فيها إلى الشهوات ميلا عظيم، يزيغ بشدة عن طريق الهدى، يغرق في الفتن التي تقوده بثبات نحو المهلكات، يلتهم الفتن فتنة تلو الأخرى، يلون حياته بالأسود دون أن ينتبه لذلك، يقترب شيئا فشيئا من الاكتواء، يحترق بقراراته المتهورة، تتدهور روحه بشكل مخيف حتى يصبح التعب وجهة قلبه الوحيدة، فيتساءل عن جهل قائلا"ما الذي فعلته ليعمى قلبي عن المسرات"

## إياك...

اياك ثم اياك أن تكسر خاطر شخصا أنفق عليك اهتمامه بشغف، سيأتي اليوم الذي يغدو فيه قلبك ذابلا، سيطرق الاهمال باب قلبك، ستبحث عن ذلك الشخص بشتى الطرق، ستجد الكثير من الأشياء التي تذكرك به، اهتمامه الكبير، ضحكاته، رسائله المكدسة التي لم تكن تقرأ من إلا الأسطر الأولى، وقفاته معك عند الشدائد، ستجد كل هذا غير أنك لن تجده مطلقا، ستنفق الندم بشكل سخي على قلبك، لكن من دون جدوى...

صدقا لقد تغيرنا، أصبحنا نستطيع تمييز الشعور الصادق من الزائف، أصبحنا نتعامل بجدية تامة مع أولئك الذين تسببوا في ازهاق روح ابتساماتنا، أصبحنا واعون بالخطر المحدق بنا! أصبحنا نبصر الشر في عيون الاخرين، نضع خططا مضادة لخططهم الشيطانية، أصبحنا نستطيع التأقلم و التعايش، عرفنا كيف نضع كلام الآخرين الذي لا يسمن و لا يغني من جوع في القمامة! لقد تغيرنا و ذلك التغيير الذي حدث ما هو إلا نضج..

الجنة...

ألا تستحق الجنة أن تهيئ قلبك لأجلها، أن تهرع نحو كل ذرة خير تلوح في الافق، ألا تستحق أن تخصص مقدارا واسعا من حياتك للعبادة، أن تصبر و تصطبر، أن تذكر الله كثيرا، تثني عليه في السراء و الضراء، تنكسر أمامه في كل مرة لتسمو و تنتصر، تذهب اليه بقلبك المنطفئ لتعود بأحلام مضيئة، الجنة تستحق مقدارا من التعب، تستحق أن ترهق نفسك من أجل تربتها الطاهرة، تستحق أن تئن لتكون حياتك روح و ريحان، في الجنة ما لذ و طاب في الجنة لا لوم و لا عتاب، في الجنة نور أبدي، حب سرمدي...

شعور الأمان أكثر اشراقا من شعور الحب! أن تمشي مع شخص تدرك تمام الإدراك بأنه يحبك في كل ظروفك و بالتالي يكون قلبك إلى جانبه في أقصى درجات الأمان، أن تجد الشخص الذي كلما داهمتك الأحزان و الأوجاع فتح ذراعيه بل و قلبه مرحبا، أن تجد الشخص الذي ينقرض في حضوره شعور الخوف، شخص يحيطك باهتمامه المطلق، ترهبه دموعك، تطير به ابتساماتك نحو عالم آخر، شخص لا يرضى لك الانكسار، يقتحم كل حصار تفرضه عليك الحياة ليقول أنا إلى جانبك

لا تعمل لأجل أحدٍ، حقيقة أفعالك لا يعلمها إلا الواحد الأحد، استغل يومك فيما يرضي الرحمن، اقفز و قلبك نحو بر الأمان، أبعد عنه كل فعل من شأنه أن يقودك نحو الأنين، حصن روحك فصوت الفتن يتعالى و يتجبر، لا تغتر بأفعالك مهما كانت و اعلم أن ما أصابك من خير هو من فضل الله عليك و أنه هو مقلب القلوب فأنب اليه و الجأ في كل وقت و حين، اعتني جيدا بنظافة روحك، نقها من دنس الشهوات التي قد تبطش في أي وقت، أعن نفسك على المضي قدما نحو المسرات...

إذا خسرت أنثى تحبك بصدق فقد خسرت شطرا عظيما من السعادة! إذا أهملت قلبا جعلك ملكا متربعا على عرش نبضه فقد مشيت بخطى ثابتة نحو الحريق! ستكتوي يوما ما لا محالة و لن تجد يدا تعينك على النهوض! ستستحضر ذلك الطيف الذي لطالما سقاك اهتماما، ستتذكر كم كان ذلك الشخص جميلا، ستبحث عنه في كل الوجوه، ستتحس قلبك فتجد الهوة بداخله تتفاقم بشكل رهيب، ستجد كل شيء يذكرك به، لطافته، لباقته، الحب الصادق الذي أحاط به قلبك، النور الذي مدك به في أكثر لحظات الكدر التي مررت بها، ستجد كل ما يذكرك به يا عزيزي غير أنك لن تجده هو نفسه مطلقا و لن تجد نفسك بعد ذلك...

كل ما أريده أن لا أستيقظ ليلا على وقع صرخاتي العالية يا الله، أن أنهض صباحا و شعور الفرحة يحيط بوتين قلبي، أن أستيقظ و في روحي متسع من الأمل، يا الله يا أكثر من نحب اجعل قلوبنا خضراء على الدوام، أبعد عنها الذبول و الانكسار و إن حاصرتنا الأوجاع فاجعلنا من عندك يا اله الكون منفذا ينتهي إلى لطفك و سترك و عنايتك، مذلول و مخذول هو كل عبد لجأ إلى غيرك في أكثر الأوقات الحرجة، ندرك بأنك الوحيد الذي يسمع اهاتنا، يستجيب لدعواتنا، يمسح دموع القلب...

في أقصى درجات حزنك التفت للآية الكريمة "لا تحزن إنا منجوك" استشعر قوله جل جلاله، تخيل كما لو أن النص القرآني موجه صوب قلبك، أ يذبل قلبك و له اله يقول لا تحزن! أ و ينكسر قلبك و اله الكون يقول"إنك بأعيننا" الناس قد يفلحون في تجفيف دموع عينك لا أحد سوى الواحد الأحد يمكنه أن يمسح دموع قلبك و يزرع مكانها ابتسامات مشرقة، صوب قِبلة حياتك نحو أقرب طريق يؤدي إلى رضا الله و ستنجو...

لم يكن السرطان هاجسا مرعبا أو عقبة مربكة أمام طموحاتها، طموحاتها أضخم من السرطان نفسه، هيأت نفسيتها بشكل مثالي للغاية لمعانقة أحلامها مهما كان الثمن، هرولت بثبات نحو أهدافها، سطرتها ثم عطرتها باليقين بالله، جعلت من حكاية صمودها حكاية تستحق أن تحتل المكتبات الفخمة، كانت تردد دائما" لا يمكن لمجرد مرض أن يهزم تطلعاتي، سارت بقلب أعرج، بجسد مترهل و لكن في نفس الوقت بعزيمة فولاذية لا تخدشها تلك الظروف مهما كانت، انبثق النور من عينيها و هي تصافح أحلامها و تعانقها حلما تلو الآخر، سجدت لله و رددت" اليقين بالله يبني طريقا آمنا و لو كان ذلك الطريق يمر على فوهة بركان...

أ رأيت تلك القشعريرة التي تسري في روحك كلما فتحت قلبك لكتاب الله، أريت كيف يغادر الحزن مخذولا مهزوما و أنت تتلو آيات الله! تفسح المجال لعينيك بأن يغوصا في كلام كان مصدر إله عظيم، تنثر الضوء على أركان روحك التي أابها من الظلام ما أصابها بطريقتك الخاصة، تبني جسرا متينا و متماسكا نحو أحلامك، تخيط جراحك دون أن تترك أثرا للندبات، ينبت من تحت جراحك أفراحٌ مبهجة، كلنا نتفق على أن القلوب الأكثر إشراقا و احاطة بالبريق هي تلك التي جعلت حب الله هو الحب الأبهى و الأكبر بداخلها...

هي...

لم تكن من اللاتي يطمسن جمالهن الطبيعي الذي وهبهن الله اياه، كانت راضية بشدة على خلقة العظيم الذي خلقها في أحسن تقويم، تستتر لتبدو كدرة مصونة، تمشي بحجابها الذي لا يبدي زينتها، تتحمل مشقة و حر الصيف لترضي إله عظيما وعد الصالحات بالفوز العظيم، تنفق اهتمامها المطلق على نظافة روحها لأنها تدرك بأن الروح إذا تأنقت أشرقت، تمشي بقلب محاطٍ بالنور من كل جانب، أبعدت خطر الأنين الذي داهم وتينها بتقربها من الرحمن، هي ليست مثلهن هي مثلٌ لهن..

أما المرأة فهي تلك التي تضع ظهرها و نور عينيها عربونا لسعادتك و أنت صغير يا عزيزي، هي التي تهمل مظهرها لتبدو أنيقا، هي تلك الأم التي تهمل أحلامها من أجل أن يكون لك حلم، هي تلك التي تلملم دموعك كلما انهمرت حتى قال عنها نبينا محمد صلوات ربي و سلامه عليه "أمك ثم أمك ثم أمك.." هي تلك الأنثى التي لجأ اليها عندما اجتاح الخوف و الهلع و حينما نزل عليه الوحي، هي تلك التي ربت أجيالا بفيض حنانها، هي تلك التي أكرمها خير خلق الله صلوات ربي و سلامه عليه و توجه اليها بالهدايا فكان يكرم صاحبات خديجة رفيقة دربه رضي الله عنها، إن المرأة الشريفة العفيفة تستحق أن يكون عيدها كل يوم بل هي العيد نفسه...

شخص واحد يا الله يحبنا حبا حقيقيا لا زيف فيه، حب لا تشوبه شائبة، يحارب معنا ظروفنا بدل أن يضيف نفسه إلى قائمة الظروف المعيقة! شخص واحد عندما ننظر إلى عينيها نطمئن فتردد ألسنتنا" إنه جمهورنا هذا الشخص الوحيد! شخص يخصص لنا مقدار من وقته لينثر علينا من دعواته الصادقة، يقف معنا في السراء و الضراء، لا يضع في قاموسه تهديدا بالرحيل أو بالقطيعة، شخص يرانا الأجمل في كل أحوالنا، شخص يحبنا و نحن في الأوحال و نحن نصارع المحن، شخص لا يعرف قلبه طريقا للخذلان..

مهما كانت أحلامنا براقة لا يوجد شعور أكثر احاطة بالضوء كشعور الخلود في الجنة مع سيد الخلق، مع كل أولئك الذين سمعنا عن قصصهم المذهلة بآذان قلوبنا من أنبياء و صالحين و متقين و وجه الله الكريم يرسل بنوره الذي ليس كمثله شيء ليغمر قلوبنا سرورا، اللهفة لذلك الموعد تتعاظم بشدة رغم قلة الزاد! فمهما تزودنا كان التقصير في حقك يا الله كبيرا، نسقط بكل أوجاعنا التي تربصت بقلوبنا لنهتف بدقاتنا الحالمة"يا رب رضاك و الجنة"

في صباه صاح المعلم في وجهه أنت لن تتعلم حرفا أيها الأبله، ستبقى أضحوكة أمام أصدقاءك، لم يجد ذلك الطفل سبيلا للفظ أحزانه سوى البكاء! كان يبكي كلما أطلق معلمه تلك القهقهات الساخرة، أصابه الخجل في بادئ الأمر، كان كلما حاول أن يتغلب على ضعفه وجد ضحكات أصدقاءه و معلمه بالمرصاد، لنه ظل صامدا حتى نال درجة عليا في الطب، ذلك الأبله أصبح طبيبا، و عجائب الصدف أنه اجتمع بمعلمه في غرفة واحدة! كانت تلك الغرفة في المستشفى الذي كان يزاول فيه مهامه كطبيب....

إذا أردت أن يبدو الحزن قزما في نظرك فزر المستشفى، سترى من الحالات ما يجعلك تتناسى همك، سيخبرك أحدهم بأن همك حلمه! ستخبرك طفلة صغيرة بأنها فقدت والديها في حادث سير للتو، ستلتقي بتلك العروس التي حلت المآسي محل زينتها بعد أن فقدت حبيبها الذي مات غير أنه ظل دفينا بقلبها! ستخبرك تلك الأم العجوز التي بلغت من العمر عتيا كيف أن الحياة قصيرة للغاية البارح في صحة جيدة و الآن في صراع دائم مع المرض، ستكتشف بطريقة أو بأخرى بأن الذي تعيشه نعمة يجب أن تحمد الله عليها...

لا...

لا تثرثر أبدا، لا تقلل من كرامتك و تقسم لهم كل مرة و تحاول أن تبرر لهم، من يحبك سيصدقك حتى من دون أن تتحدث، الذي يهمه شأنك لن يدخر جهدا في رسم الابتسامة على محياك، لا ترهق نفسك في البحث عن متسع لك في قلب يرفضك، عليك أن تفهم بأن المكانات التي تبنى بالإجبار تكون على حافة الانهيار في كل وقت و حين، دع عنك الركض خلف الأوهام، اجعل مكانتك عزيزة، أرفض كل من سولت له نفسه ازهاق روح أملك، قل لا لكل من سبق له أن شوه ابتسامتك، اقتحم مخاوفك! لا ترضى بفتات الانتظار الذي قد يخلف دمارا هائلا بداخلك!

و تخيلي أن يقع في حبك كاتب يتفنن في نثر الحروف! يغرم بأناقة روحك و رقة ملامحك فيجعل لك نصيبا ضخما من كتاباته! يكتب لك، فيكرمك و يجعل لك مكانة مرموقة بين ثنايا روحه، يحول نصوصه إلى موكب بهيج يسر الناظرين ثم ينصبك فيه عروسا في كامل زينتها، يشكل من حروف اسمك مقدمة جميلة لرواية يتادولها الناس من كل حدب و صوب، يخلدك بين دفتي كتاب، يجعلك تبدين كما لو أنك أبهى انتصاراته، يجعل لك متكأً في كل مؤلفاته، يتفنن في تنصيبك ملكةً على عرش الإهداءات! يجعلك مغرمة لحد بعيد بالمطالعة، بل يجعلك تشعرين بأنك شيء مثالي في هذا العالم البائس...

ثم أزهرت...

حينما اجتاحت الغصة قلبها و تفاقمت الخيبة بداخلها لجأت إلى الله بكسورها و كلها يقينٌ بأن اللجوء اليه نجاة، أطلقت العنان لدموعها لتبلل سجادة الصلاة، كانت تدعو الله بشراهة! تشعر مع كل دعوة تدعوها بأن ألما من الآلام قد اتقرض، تطيل في سجودها عمدا لأن التعب بداخلها يستدعي ذلك، بعيد جلسة الدعاء بقليل شعرت كما لو أن قلبها قد اغتسل بالطمأنينة، رفعت كفيها و قالت"مهما بلغ التقصير بداخلي يا الله وحدك من تقبلني عندك في كل مرة، وحدك من تعيد تعبيد طريقي نحو أحلامي رغم سوء و تعاظم خطاياي...

و جاءته البشرى..

يا لها من حروف آسرة، تجعل القلب يغرد عاليا مع أحلامه، تقف بالمرصاد أمام تلك الأحزان، تجعل الروح كالفجر الهادئ، لا شيء أجمل من أن يعانق الانسان البشرى! أن يؤتيه الله سؤله، كم تبدو حياتنا مضيئة و نحن برفقة أحلامنا التي كافحنا بالدعاء و اللجوء إلى عزيز مقتدر من أجل أن نصل اليها أو بعبارة أخرى من أجل أن تصل الينا! يا من بيده الأمر كله قل لأحلامنا التي صدتها الظروف و منعتها من الوصول إلينا كوني لتكون فإنه لا يعجزك شيء...

الحب هو أن تظل عالقا في أعماق الروح و إن فرقتنا المسافات و العادات و التقاليد و البحار و المجتمع و جور الظروف و تراكم الآلام! هو أن تكون اساس فرحتي، تشرق شمس سعادتي عندما تبزغ ابتسامتك و تغرب كلما تسللت دمعة حزن إلى خدك، هو أن أراك قطعة من الروح لا يسرقك غياب و لا ظروف الحب هو أن أضعك بين كفي كلما ناديت الله، هو أن أجعل ابتسامتك أجمل مستحضرات تجميلك، هو أن أصون فرحتك و أرعاها الحب هو أن أدلك على طريق الهدى كلما لاحظت منك ميلا إلى الفتن و الشهوات الحب هو أن أضعك على رأس دعائي الحب هو أن أرفعك للرحمٰن مع رجائي و ندائي

# دموع النجدة...

أ رأيت تلك الدموع التي تذرفها في السجود! إنها دموع النجدة، تلك الدموع يتوضأ بها قلبك، تجعل روحك روحا نقية تقية، ما أجملها من نعمة أن ينعم الرحمن علينا بالتقرب اليه في كل وقت و حين، نجد في صلواتنا متسع من الراحة، عن تلك السجدة التي نتمنى لو أنها بلا نقطة نهاية، كلما أطلنا فيها هطل الغيث على حياتنا فأزهرت أحلامنا، إننا حين نلجأ إلى العظيم بتلك النكبات التي تحملها قلوبنا و تتحملها نعود و النور يقطر من أرواحنا، الله هو الملاذ الآمن، عنده ذلك الركن الذي نجد فيها أنفسنا...

وجبة حب أخرى لأمي..!

أمي امرأة لا تستحق النصوص و كفى! انها تستحق كل الأبجدية، لم أرى و لربما لن أرى وجها أكثر احاطة بالنور كوجهها، لم تدخل المدرسة قط و لكنها في عيني المدرسة نفسها! حسنا حينما انكسر حلمي أعانتني على النهوض من جديد، حينما بكيت وحيدا ثم خرجت وحدها من اكتشفت آثار دموعي، حينما صرخت أريد أن أبقى وحيدا هرولت هي نحوي و عانقتني و كأن بها تقول أنت عالمي؛ لقد جعلتني أشعر كما لو أنني أملك الكثير في هذه الدنيا و هي التي ملكت قلبي، حبيبتي أمي ليس هناك أمنية براقة بداخلي أكثر من أن تبقي أنت بخير...

ضفهم إلى قائمة أصفارك...

ضفهم إلى قائمة أصفارك أولئك الذين يهددونك بالرحيل، القصة لا تتحمل التأجيل، عجل من انتشالهم منك، إنهم صبار شائك لروحك الرقيقة، واجه مخاوفك تلك اجعل الاستغناء مبدأك الذي لا تحيد عنه و لا تزيغ، أصرخ بأعلى صوتك الباب مفتوح في وجه كل من سولت له نفسه سرقة ابتسامتك، انهم لا يستحقون مشاعرك أولئك الذين أشعلوا النار من تحتها! أنت تستحق أن تنعم بالسلام الداخلي، تستحق أن تحظى أحزانك بغفوة! بل تستحق أن تكون أحزانك نسيا منسيا، أنت تستحق أشخاصا يشعونك تاجا على قلوبهم بدل رؤوسهم! لا تتجرأ أبدا و تتجرد من كرامتك لتتسول فتات الاهتمام...

عن هذا الإنتماء...

كم هو مذهل شعور الانتماء إلى الراضين بأقدار الله كلها حلوها و مرها، أن تضع رضا الله نصب عينيك، فتتحمل كل المتاعب في سبيل أن يبقى قلبك أخضرا! تجد الله لك مقدارا من الحب في قلوب الناس، يستر عيوبك التي لا تعد ولا تحصى، يجعل ندوبك الداخلية تختفي في رمشة عين، يغمرك بلطفه حينما تتقطع بك كل السبل، يبني لك أحلاما جديدة عندما تتحول أحلامك القديمة إلى آلام، ينثر على قلبك البلسم كلما سممته بأفعالك، يرعاك و يعتني بقلبك نبضة بنبضة..

أمي مدرسة..

علمتني أمي أن أحترم كبار السن دائما، أن لا أرد جوابا، أن لا أكسر خاطر صغير، أن أقدر ظرف كل انسان، علمتني أن الأصوات الصاخبة غالبا ما تكون على خطأ لذلك حثتني أن أتجاوز ذلك! كانت تدفعني دائما نحو اللين من الأمور، أن أتكلم بلين و أتعامل بلين، أن أتصرف بلين في كل ظروفي، كانت تقول لي إذا أردت أن يبقى قلبك أخضرا اجعل اللين و الطيبة مبدأك الذي لا تحيد و لا تزيغ عنه، كانت تخبرني بأن الغضب لا يودي إلا لطريق واحد ألا و هو التهلكة، أمي امرأة لم تعلمها المدارس و لكنها تلقت دروسا مكثفة من الحياة..

# كم أتمنى...

كم يتمنى المرء أن يجمعه عناق مع خير خلق الله في جنة عالية، يختفي فيه حزنك، تتبدد فيها مخاوفك، يصبح لروحك فوانيس مبهجة، تغدو ضحكتك أبدية و فرحتك سرمدية، تنظر فيها لوجه الله الكريم، الله الذي سترك بلا حدود، أنزل على قلبك ما لا يعد و لا يحصى من النعم، نظرة إلى اله عظيم تضع بها نقطة نهاية ظمأك و تعطشك للسعادة، أي شعور سيبزغ من وتين القلب بعد ذلك يا ترى، إذا كان مجرد الحديث عن الفردوس يجعلنا في قمة البهجة فماذا لو نلنا رضا الملك القدوس حقا...

# ارحم ضعفي...

هذا القلب قد بات ساحة حرب يا الله، أرى الأسلحة من العيار الثقيل تتهاطل على أزقتي الداخلية، ضحايا كثر، المرارة باتت عنوانا بارزا يحيط بي، أراني أتخبط في وحل المحن، أحاول في كل مرة أن ألملم حطام أحلامي و أنضي كما لو أن شيئا لم يحدث، أحاول أن أرمم آمالي، أعزم في كل مرة على مجابهة آلامي التي تتجبر، و لكنني لا أسلم من ويلات الحزن، أحزن بشدة و لكن حزني يخلو من الدموع، يأتي حزني صامتا، يابسا و لكنه في أقصى درجات التكشير عن أنيابه، يغرسها في كل حلم تقت لمعانقته يشوه بها كل أمل أردت الوصول اليه، أحط هذه المضغة بعنايتك التامة يا اله الكون

رأسي مكتظ بالأفكار الثقيلة جدا يا اله الكون، تفكيري يقودني بثبات نحو الضياع، اعترف لك من باطن هذا القلب الذي زرعت فيه النبض بأنك أكثر من قدمت لي الاحتواء في أكثر اللحظات التي عرفت فيها طعم الاكتواء، أطالت الخيبة مكوثها بين أزقة قلبي، فقدت أحلامي حلما تلو الآخر كانت الطريقة التي تلقى فيها أحلامي مصرعها مروعة للغاية، بت في صراع محتدم مع الحيرة، كانت تنهب نبضي و تضرم النيران بين أركان روحي، بأعمالي أساوي العدم يا الله و لكنك برحمتك يا من بيده ملكوت كل شيء جعلت لي قدرا فيا رب حبك و كل عمل يقربني إلى حبك...

العيب...

ليس من العيب أن تبوح بحبك! العيب هو أن تبوح بحقدك و بغضك، فهناك زمرة من البشر تتفنن في اظهار الشر! العيب الحقيقي هو أن تمضي ناشرا للأفكار المحرضة على الكراهية، أ رأيت كم هو جميل أن تمسك بيد أمك الذي أنجبتك ثم تهمس لها في أذنها بصوت خافت"حبيبتي الغالية، أريد أن أطلعك على سر! حسنا أنا أحبك جدا." أريت كم هو مميز أن تقبل جبين أبيك ثم تردد على مسامعه"أنت أكثر شخص نثر الضوء بداخلي، و كذلك بالنسبة للزوجة عندما تخبرها بأنها قد امتلكت قسطا كبيرا من قلبها....

قرار صائب...

احساس باذخ الروعة أن تستيقظ و الناس نيام فتتوضأ و قبل ذلك تغسل قلبك بالصفاء، تنادي الرحمن، تستغيثه في كل ظروفك، تلجأ اليه في السراء و الضراء، تطلعه على طموحاتك و أحلامك، تعترف له بتقصيرك الكبير، ترجو عفوه و مغفرته، كم هو مميز أن يختارك الله من بين عدد هائل من عباده للقاءه، تهمس في أذن الأرض في الأسحار فيسمعها الرحمن الذي من آياته الليل و النهار، شعور هائل السرور أن تجد رضا الله يرافقك في كل خطوة تخطوها فتسير مرددا"اللهم إني أسألك ثبات ليس بعده شتات أبدا"

عمرٌ ضائع...

نكتشف في وقت متأخر من العمر بأننا أسرفنا و تهورنا و أسأنا التقدير، نستفيق بعد أن عششت الغفلة بين أروقة قلوبنا، تستحوذ الغصة على قلوبنا لتفسح المجال للندم بأن يكسو قلوبنا، نعود خطوات للخلف لنعاين حجم الأضرار فنطلع عن قرب عما كنا نفعله في أنفسنا، هنا أسأنا إليها، هنا انجرفنا خلف شهواتنا، هنا زينت لنا أنفسنا الأمارة بالسوء أعمالنا، هنا اغتال الشيطان ضحكاتنا، هنا شيعنا جنازة أحلامنا، نصحو و آثار الندبات الداخلية تغزو دواخلنا، نعود الينا بعدما كنا في صراع مع التيه ثم نخر لله ساجدين و نردد"اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا"

# قلب أمي...

قلب أمي، انه مثال حي عن النسخ المصغرة من كلمة "الرحمة" انها تحبنا بطريقتها الخاصة، تعانقنا و نحن نكتظ بالأشواك، تسير معنا و إن كان الطريق يعج بالزجاج، الأمهات قلوبهن متشابهة جدا، انهن يمتلكن قلوبنا من نور لا تعرف شيئا إسمه الأذى، تضخ الحب بغزارة، تهمل أحلامها لتنهمك في ترميم أحلامنا، تتناسى آلامها في سبيل "نجدة آمالنا" تهمل مظهرها بندو في أشكال و ملامح أنيقة، إنها تلك التي تحن الينا بين الدقيقة و الأخرى، حب صادق جدا، يحيط به اليقين من كل زواياه

اليقين...

جراحك الداخلية لن تندمل إلا عندما يصافح قلبك اليقين، الأنين يتجبر و يسيطر عندما يجد يقينك بالله مترهلا، كلما كان يقينك متماسكا استعصى على الحزن اجتياح روحك، ارمي بكامل ثقتك في العظيم ستتلقفها حمايته و عنايته، تلفها في ثوب الفرحة ثم تعيدها اليك في موكب بهيج يُزَف إلى قلبك، النقاء الذي يأتي مصاحبا لليقين بالله لا يمكن لمجرد حروف أن تصفه، النور يغمر تلك القلوب التي جعلت الصبر الجميل قرارها الأسمى...

أنثى مَلكية...

مما لا شك فيه أن الكلمة الطيبة الرقيقة، الأنيقة هدية فاخرة في عين الأنثى الصالحة، الكلمة التي تحمل كما هائلا من اللطف و الحنان وردة آسرة في عين الأنثى، أنثر شيئا من السكينة على قلب أمك التي تنهمك في تحضير ما لذ و طاب، اهمس في أذن زوجتك"كم هي لذيذة هذه الأطباق من تحت يديك، امدح أختك و ابنتك فلن تخسر شيئا و تذكر أن جبر الخواطر من شيم الرجال الأوفياء، و أبرز و أنقى مثال عن ذلك حبيبنا محمد صلوات ربي و سلامه عليه الذي كان يتذكر زوجاته بالهدايا و يطيب خواطرهن بشكل مذهل...

## نصيحة من ذهب...

تلك النصيحة الذهبية التي قدمها لي شخص سيبقى استثناءً مهما تعاقب الأشخاص على حياتي، رحت مرة أشتكي له ضنك الحياة فدلني على الصلاة، ابتسم في وجهي حينها ثم أخبرني بأن الصلاة هي الباب السري للخروج من مآسي الحياة، كان يخبرني في كل مرة بأن أحلامي تزهر كلما اعتنيت بصلاتي أكثر، قال لي عزيزي احرص أن تكون استثناءً و عندما أخبرته كيف ذلك قال لي وظف كل طاقتك لتكون من الزمرة النادرة التي قال الله فيهم"إلا المصلين" منذ ذلك الحين أدركت كيف أعالج كل ندبة داخلية...

لم تكن المساحيق الخارجية سر جمالها و أناقتها، كانت تجيد تلوين ملامحها بالبهاء! ضخت كمية هائلة من الحياء على قلبها، كانت تدرك بل و تجزم بأن العناية التامة بازقتها الداخلية هي الأحرى و الأجدر بان تجعلها ملكة جمال، اتخذت الستر مبدأً لا تحيد عنه فباتت تبدو كنسخة أخرى من الورد! أدركت بأن الجمال الحقيقي يقاس بنقاء القلب، لم تلتفت لذلك الكلام الذي لا يسمن و لا يغني من جوع، كان رضا الله هدفها الأسمى، اقتحمت مخاوفها و صانت شرفها و كرامتها فكانت كلؤلؤة في زمن تفشى فيه الصدأ بشكل فظيع...

و إذا دعوتم الله فادعوه أن يرزقكم حلالا طيبا مباركا فيه، كم هو مميز أن يظفر الواحد بنا بذوي الأخلاق المنيرة، أن يكون شريك حياتك دليلك حين تنصب لك الحياة فخا لتضطرك لسلك طريق الضياع، فكرة دافئة جدا أن يظفر المرء بمن يمضي به نحو جنة الفردوس، بأفعاله و كلماته المنتقاة بعناية، فتجده يحرص بشدة على اختيارها لتبدو كما لو أنها عطر من النوع الفاخر! فكرة مذهلة أن يظفر الواحد منا بمن يقف معه وقفة قلب واحد! يفتح ذراعيك مرحباً عندما يرفضك العالم كله، يتألم لكل ضر يصيبك و يفرحك لكل فرح يطرق باب قلبك...

عن روعة الإحساس..

احساس رائع أن تثبت على دين الحق رغم أن سبل الشتات قد تعاظمت، احساس مميز أن تحفظ قلبك و روحك بعيدا عن معترك الأحزان عندما تتخذ من ركن الله ملجأً آمنا و سبيلا مضمونا نحو أحلامك، احساس مذهل أن تقف في نهاية يومك و قد حققت انتصارات كثيرة على نفسك الأمارة بالسوء عندما أديت كل الفرائض في وقتها، كم هو جميل أن تربي الصبر بين دقات قلبك طمعا في جبر و رضا الرحمن في نهاية المطاف، أن تتخذ من أسحار الليل فرصة لالقاء الضوء على قلبك من خلال تضرعك لله، احساس فائق الروعة أن تجد الله يرضيك و يذلل لك كل عسير..

ضياء الفجر...

استيقظت مرة و في قلبي حلم ساطع، كنت قد قررت بأن يكون هذا الفجر فجري الأول في المسجد لربما يتناسق ذلك الفجر مع أحلامي فيبزغا معا، مشيت بخطى ثابتة، كانت خطوات استثنائية! لم تكن كتلك الخطوات العادية، صدقا خلت قلبي حينها قد عاد ريشة مغردة! أحببت تلك الخطوات جدا، غمرني شعور هائل بالغبطة و السرور، دخلت المسجد فخلت روحي قد اغتسلت بالصفاء و حين كبرت للصلاة كبر الأمل بداخلي، صار الوجع قزما، اضمحل الألم شيئا فشيئا ثم تلاشى...

و كان صلوات ربي و سلامه عليه يدلل زوجاته و يكرمهن، يتقدم لهن بالهدايا رغم أنه كان هديتهن الأسمى و الأبهى، كثير الابتسامة، لطيف الحضور، لين القلب، يخفف عنهن تعبهن قولا و فعلا، يرمم و يطيب خواطرهن، تأتي كلماته المنتقاة بعناية فائقة على هيئة طبطبة على الروح، يقدرهن تقديرا كبيرا، كان قلبه رائدا في كل شيء، فكان الأول على عرش الحب، مات صلوات ربي و سلامه عليه منذ قرون عديدة و ظلت أخلاقه البهية تتجول بين أزقة أرواحنا...

و يرى النبي محمد صلوات ربي و سلامه عليه الحزن يكسو ملامح الصديق أبي بكر رضي الله عنه فيمسح بيده الطاهرة صلوات ربي و سلامه عليه على وجه الصديق و يقول له بنبرة تحمل كما هائلا من الأنس و الأمان"لا تحزن إن الله معنا" فيختفي روع الصديق و تنمو أغصان الطمأنينة بين دقات قلبي، كان صوت النبي صلوات ربي و سلامه عليه بلسما لجراح الروح و سدا منيعا أمام كل المخاوف...

أحبي شخصا لا تغريه الشهوات المحيطة بالحياة من كل جانب؛ أحبي ذو قلب مكتظ بحب الله فالذي عرف الطريق إلى الهدى سيضعك بين رموش عينيه، أحبيه رجلا بأخلاقه التي لا غبار عليها، رافقي من يأخذ بقلبك إلى جنة الخلد، لا تسلمي مفاتيح قلبك إلا لمن يدرك جيدا بأن الذي يخرب قلبا مجرم من الدرجة الأولى، لا تغريك الوسامة فكم من وسيم الملامح يخبئ بين نبضاته سما مرهقا! و قبل كل ذلك تعففي فإن العفة خصلة ذائعة الصيت لا تدركها إلا من عرفت المعنى الحقيقي للجمال...

صدقا أجمل شيء يتمنى القلب أن يعانقه هو تربة الجنة التي مهرها طاعة الله! الجنة تلك الثمرة الطيبة التي لا يقطفها إلا عبدٌ عرف معنى أن الدنيا بأسرها لا تساوي جناح بعوضة فطلقها و التفت بروحه إلى جنة الخلد فأعد لها العدة و سار قاصدا بابا من أبوابها، الجنة التي فيها محمد خير خلق الله لا بل و فيها وجه الله الكريم الذي بيده ملكوت كل شيء، فيها ذوي القلوب البيضاء، ذوي الأخلاق المضيئة، تندمل فيها تلك الجراح الداخلية التي أنهكنا نزيفها، تشرق فيها ضحكاتنا و لا تغرب بعد ذلك أبدا...

تجرنا الذاكرة في كل وقت و حين لأيامٍ عتيقة،لم يبق منها سوى الحنين! إلى تلك الأيام التي كنا نصطف فيها في صفوف منتظمة في فناء يجمع أحلامنا الصغيرة و التي كنا نرددها في أناشيدنا تلك، كنا نقفز إلى تلك النصوص الآسرة لنعيش فيها فترة من الزمن، إلى عبق الصباح الجميل الذي كنا نرتمي فيه في أحضان أمهاتنا، تلك الأمهات اللاتي سعين جاهدات لنخرج في هيئة لائقة، يجرنا الشوق إلى أيام خلت، خلت من الوجع، كانت أثقل دموعنا هي تلك التي ذرفناها على الفراق الذي يدق ناقوسه بين أبطال كرتوناتنا المفضلة..

كانت تكبره عمرا، تفوقه مالا! خديجة بنت خويلد رضي الله عنها أحبت رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه لما رأت فيه من خلق الأمانة و الصدق المطلق، كان صلوات ربي و سلامه عليه أمينا يحفظ الدينار و القنطار، لم تكن خديجة رضي الله عنها تدري بأن ذلك الشخص الذي أحبت خصاله هو نفسه الذي سيكون أفضل خلق الله و أجلهم قدرا، العمر لم يكن عائقا بالمرة، كان التناسق بينهما بديعا، كانت خديجة رضي الله عنها من أثرياء مكة غير أنها كانت ترى نبي الله ثروتها الكبرى...

إذا أحببت أحدا ثم بادلك الحب شعرت
كما لو أنك ملكت الدنيا برمتها، اغتسل
قلبك بماء البهجة، تزينت ملامحك بالسرور،
باتت روحك بخفة الريشة بل و حلقت عاليا
في سماء الأحلام الخضراء بفؤاد طير، فماذا
لو أدركت بأن الله يحبك! إذا أحبك الله
سقطت كل الأحزان من قلبك و اختفت
كل الانكسارات من روحك و تلاشت
كل الآلام التي كانت تأتي على هيئة سيلٍ
من الدموع...

"انما أشكو بثي و حزني إلى الله"

إذا توجهت بشكواك إلى البشر لم يزيدوك إلا رهقا، تضمحل فيها ابتساماتك شيئا فشيئا و يراودك الشك، يراكمون خيباتك و مشاكلك بدل أن يكونوا طرفا في الحُلول، يُلمعون نكباتك، تزداد نكساتك و تتراكم انكساراتك، اهرب بكل ندوبك الداخلية و جراحك الضاربة في عمق قلبك إلى ركن الله لتكون فرحتك يعقوبية! فكل الذين فروا إلى عزيز مقتدر تبخرت آلامهم التي بالأمس القريب تجبرت...

رسالة من القلب..

راسلني أحدهم على الخاص و كتب لي" رغم أنني لا أجيد الكتابة إلا أنني انتقيت لك من قلبي أجود الحروف، حسنا لا يوجد في جعبتي الكثير من النصوص الآسرة كتلك التي تكتبها إلا أنني حضرت لك الكثير من الدعوات و أرسلتها إلى خالقي، و كلي يقين بأن الصوت الذي كان مصدره قلبٌ صادق يسمعه الرحمن ثم يجعله حقا! اعتبرني ذلك الغريب الذي يمر في حياتنا مرة و يبقى أثره دهرا، لا يهم من أكون المهم أنني لجأت إلى اله الكون من أجلك، من أجل أن يعتني بأحلامك..

ثم تسمع صوتا فريدا من نوعه، تتوهج روحك، تسمو ابتساماتك، تتحس نبض قلبك فتجد مطمئنا و محاطا بالسرور، تسمع صوت النبي محمد و هو يناديك، أهلا بك في جنة عالية، تزهر تلك الأحلام التي ترعرعت بين نبضات قلبك، تغادرك الآلام من دون رجعة، تنظر من حولك فتجد ما ينسيك بأنك عشت يوما ما آلاما و نكبات! ترفع رأسك فترى وجه الله الكريم، يغتسل قلبك حينها بالبهجة، يغرد فؤادك عاليا و أنت تعانق الفرح المطلق، ما أجمله من خيال فكيف لو تحول إلى حقيقة ساطعة.

أشياء كثيرة جدا يمكنها أن تصنع سعادتك! أن يخبرك أحدهم و من دون سبب أو مناسبة بأنه يحبك كثيرا أو بالأحرى نثرت قطع السكر على حياته، أن تتاح لك الفرصة لمعانقة طفل لتظفر بضحكته الجميلة، أن يزين الوجه الذي أحببته صباحك و مساؤك، أن ترى الفرحة تكسو عيون أمك و أبيك و رضاهم يحيط بحياتك،أن يفاجئك أحدهم فيهديك شيئا و لو بسيطا ثم يخبرك بأنك أجمل الهدايا و الأجمل من ذلك أن تستيقظ كل صباح و أنت تشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا صلوات ربي و سلامه عليه عبده و رسوله...

قاوم بشدة من أجل الأشياء التي تحبها، إذا عانق حلم السفر قلبك، اسهر على رعايته حتى آخر نفس منك، إذا صالت فكرة مشروع و جالت بين أزقة ذاكرتك فلا تجعلها تفلت منك،إذا أحببت شخصا بشدة قاتل في سبيل أن تصل اليه، شعور الفشل طعمه لاذع للغاية، ليس هنالك أجمل من أن يردد المرء في نهاية المطاف"لقد انكسرت و أنهكت و تلقيت كل أنواع الجراح و لكنني كافحت و هرولت نحو أحلامي و ها أنا ذا اليوم وصلت"

لم يحدث أبدا أن رأيت الأذى من الرحمن، كل تلك اللحظات السوداء التي مرت في حياتي كنت أنا من لطختها و جعلتها قاتمة من صنع يداي، لم أرى من الله سوى الرحمة، كان يرحمني في كل مرة و لا يحرمني، يتدخل في كل مرة لينثر لطفه على قلبي كلما جعلتهُ جعلته في متناول الآلام، لا بد لكل دقيقة تمضي من حياتي أن تكون ممزوجة بالرضا و الشكر، أحاول في كل مرة أن أتمرد على نفسي الأمارة بالسوء لأسير في رحاب الهدى كي لا أكون أسيرا للهوى..

كلما قرأت عبارة يحشر المرء مع من أحب غمرت قلبي بهجة ليس لها نظير، رددت في نفسي أنا لست من الصالحين، سيء لحد ما و لكنني أحب خاتم الأنبياء إلى أبعد الحدود، كلما تذكرت تلك العبارة تخيلت نفسي بجوار رسول الله الذي أحببته حبا جما، كم هي رائعة فكرة أن تحشر جنبا إلى جنب مع خير خلق الله، تلمس يده الطاهرة، تعانقه فتعلق رائحته الزكية بين ثنايا روحك...

## قول الحق..

قول الحق، إنه الطريق الآمن الذي سرعان ما يمضي بنا نحو نهاية النفق، يحقق لنا الغاية المثلى و الأسمى، يجعلنا نشرق من جديد، مما لا شك فيه فإن كلمة الحق أحيانا تبدو كجمرة حارقة! قد تبدو كوصفة مريرة! قد يتأفف منها الكثير، غير أنها البذرة الحسنة التي ينبغي علينا أن نسقيها بالصبر الجميل كي تبقى خضراء اللون، مر الزمن بسرعة البرق فتغيرت الكثير من الإحداثيات، الصادق أصبح يطارد و يتلقى الكثير من السهام، الذي يسعى لإظهار الحق أصبح دخيلا، قائل الحق أصبح غريبا، و لكن الغرابة قد تقترن أحيانا اقترانا وثيقا بالنقاء....!

## دمعة مميزة...

كنت على رأس كل ليلة أحاسب نفسي، أخاطبها بالصمت و أحيانا بالصوت، ألومني، أوبخني، أسال نفسي متى تحين العودة إلى طريق الحق! ذات ليلة دعتني نفسي الأمارة بالسوء لاقتراف الإثم، حببت إلي الفتن، مشيت حينها بخطى ثابتة لمعانقة تلك الفتنة، ثم صدني لطف الله، اغرورقت عيناي بالدموع، ثم رددت في قلبي إنه يراني، أ فأخاف من العبد و لا أعير لرب العباد اهتماما، سقطت من عيني دمعة شعرت كما لو انها قنبلة تخلصت منها، لولا تلك الدمعة لتفرق ضميري إلى أشلاء، إلى الدمعة التي غيرت مسار حياتي...

أؤمن بشدة بفكرة أن الله لا يؤخر تلك الأشياء التي أردناها بشدة إلا لفائدة مستترة لا يدركها تفكيرنا المحدود، أؤمن بأن الخير في جوف التأخير! إذا قدر الله أمرا و إن كان ظاهره مرا فإن الحلاوة التي لا تظهر لنا يعلمها الله وحده، و لحكمة ما اخفاها عنا، أثق في اختيارات الرحمٰن، أؤمن بشدة بأنها ستقودني إلى بر الأمان، الإختيارات التي يكون مصدرها إلٰه عظيم تفلح دائما في نثر البهجة على ملامحنا، لم يحدث أبدا أن كان في التأخير شر لي، كلما رميتُ بقلبي نحو الخطر، تلقفته رحمة الله و أعادته إلي سالما غانما...

توقف دقيقة، اجعلها للحمد، احمد الرحمٰن الذي
نثر الامان على قلبك، اختار لك أجلّ و أعز
الأديان، جعل الدين الإسلامي دينك، جعلك في
منأى عن أولئك الذين يعبدون مخلوقات لا
تساوي عند الله جناح بعوضة! تجد من العلماء
الذين غاصوا في علوم الدنيا ما تنبهر منه العيون،
عالم يعبد قردا و آخر يعبد بقرة و آخرون لا
يقرون بوجود إله مطلقا، إنها عناية الله و توفيقه و
حكمته من جعلتك مُوَحِدًا، توقف قليلا و
ردد"اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك"

تمر على الإنسان أيام و كأنها جمرات متناثرة على الروح، يعتقد فيها بأن الخلاص قد بات توأما للمستحيل، غير أن الكريم كثيرا ما يجعل الدهشة مصير القلوب المتوجسة! أميل للذين يرددون في كل وقت و حين "كل الذين صبروا جبروا" أتفق بشدة مع كل أولئك الذين يدركون بأن اللحظات المريرة التي تمر بهم ما هي إلا ابتلاءات من الله، يستقبلونها بصدر رحب و السنتهم تردد"لا ملجأ من الله إلا اليه" أثق في فكرة أن نداءات الاستغاثة التي نوجهها للعظيم لن تعود صامتة...

شكوى...

إن الشكوى التي وقعتها دمعتك ثم أرسلتها إلى من بيده ملكوت كل شيء لن تعود إلا برفقة سيل من الإصلاحات، الغصة التي كانت تحتل قلبك ستغادر نحو وجهة مجهولة، سيرفع البؤس الراية البيضاء حتما، الأنين الذي وضع وتينك تحت سيطرته سيولي خائبا كسيرا، الدموع التي كست أرجاء وجهك سيبدلها الله ابتسامات، الظلام الذي كان يترصد أركان روحك سينقشع ليفسح المجال للنور بأن يصول و يجول بداخلك...

عناية الرحمٰن...

في ليلة باردة على الروح! كان الجليد يحتل أركان روحي، كنت شاهدا على أحلامي التي بدت و كأنها تذبح من الوريد إلى الوريد، سقطت على ركبتي، بات الإنكسار عنواني، فجأة أتى همسٌ غير كل الإحداثيات بداخلي، سمعت صوتا قادما من أعماق قلبي يناديني"هو أقرب اليك من حبل الوريد فما عساك فاعل!" تسلقت دموعي وجنتي، كانت تلك الدموع مقدمة لحكاية جميلة، رميت بقلبي على سجادة الصلاة نَخِلته قد اغتسل بماء النقاء! عاد النور ليحيط به،و عاد الإخضرار ليعم أرجاء روحي بعد السنين العجاف..

لطف الله...

لولا لطف الله لانغمست قلوبنا في وحل اليأس، إنها لا تعدولا تحصى تلك اللحظات التي كنا فيها قتب قوسين أو أدنى من الهلاك و لكن عناية القدوس كانت أسبق، لولا رحمته لوقع الوتين في قبضة الأنين! في كل مرة يكسو الذبول أرواحنا و تجف أحلامنا ثم ما إن نتوجه للرحمن بأوجاعنا و مآسينا حتى نعود و قد أينعت تلك الدعوات و بسط الفرح عباءته الخضراء على أروقتنا الداخلية، الدعوات الصادقة ترمم أفئدتنا بطريقة عجيبة، أؤمن بشدة بأن الله قادر على أن يجعل رمشة العين التي لا نحسب لها حسابا إلى فرصة سانحة لتحقيق أحلامنا...

للرجال فقط!

الرجل الحقيقي هو ذلك الذي ملأ خزان قلبه بالتقوى، فكان يخشى الرحمٰن أينما كان، يدرك بأن علام الغيوب يراقبه أينما كان، فيخاف على روحه من غضب الله، ينهمك في تجميل دواخله، يجاهد في سبيل أن تفوز روحه المطمئنة على ذلك الصوت الأمارِ بالسوء، إن حدث و أحببت فلا تشوه أملا و لا تغرس ألما، إن كنت تحبها حقا لا تقترب من حدود كرامتها، لا تخدش الحياء معها إن كنت رجلا، لا تجعل نهاية قصتكما غصة، لا تضع خاتمةً مكتظة بالدموع! فالرجال الحقيقيون هم الذين عرفوا حدود الله فالتزموا حدودهم..

حلم يرفرف..

صدقا، سقف أحلامنا هو عناق يجمعنا بخير خلق الله محمد صلوات ربي وسلامه عليه، ندرك بأن تقصيرنا قد بلغ درجات عظيمة، السوء يلطخ قلوبنا في كل مرة، نمد بأيدينا نحو المعاصي، ندخل قلوبنا في معترك الفتن، نبكي على خطأنا مرة و نعود إلى أحضان المعصية تارة أخرى! حقا إنه شعور بالغبطة المطلقة أن تكون جزءً لا يتجزأ ممن رضي الله عنهم و أرضاهم، أن تفوز بالجنة، تطلق العنان لبصرك فتجد فيها ما يمحو كل آثار الوجع التي بالأمس القريب أرهقتك و أوجعتك...

إلٰه عظيم...

كنت موقنا بالإجابة في كل مرة رفعت فيها كفي للعلي القدير، رميت كل ثقتي في الله فقطفت ثمرة حسن الظن به، كنت مدركا بأن الإله العظيم الذي رمم كسور المخذولين و المظلومين، الإله الذي نصر المستضعفين و نثر الطمأنينة على أرواحهم، كنت على ثقة تامة بأن الذي أخرج سيدنا يوسف عليه السلام من البئر ليغدو معززا مكرما و حول النار التي أضرمت في جسد سيدنا ابراهيم إلى برد و سلام لن يعجزه تحويل لحظاتي المظلمة إلى نور ساطع..

واحدة بألف...

حينما وضعت ملامحك رحالها بين أزقتي الداخلية شعرت كما لو أنني غسلت قلبي في نهر الفرحة! بات لوتيني فانوس مؤنس! تغيرت إحداثيات حياتي شيئا فشيئا حتى أصبح الضياء يلفها، تبددت مخاوفي، اختفت آثار هواجسي، استوعبت معنى أن بعض الارزاق أشخاص يلقون بحفنة السكر على أكثر البقع مرارة بداخلنا، أصبحت مقتنعا بأن الجمهور الغفير قد يكون شخصا واحدا! غادر البؤس أركان روحي بعدما مكث فيها قرابة الألف نكبة و حل الأنس ضيفا مرحبا به...

مع الله فقط..

لم يسبق لي أن ذرفت دموعي أمام الرحمٰن و عدت جارا لأذيال الخيبة، لم يسبق لي مطلقا أن بحت لله بأنيني و عدت منكسرا، كنت في كل مرة أهرب اليه أجد نفسي، ينتشلني من اي ألم غرقت فيه أو بالأحرى من كل بؤس أحكم قبضته على قلبي، يحول الحرب الضروس التي تقرع طبولها بين أزقة روحي إلى حب! إنه الإله العظيم الذي لا يرضى لي الهلاك مطلقا، يقودني في كل مرة إلى ما يجعلني في قمة الفرح، يمسح حساباتي التي يحيط بها الإجهاد من كل جانب و يضع اختياراته الملائمة لقلبي...

إلى الفضليات اللاتي جعلن جوهرهن أجمل ما فيهن، فعكفن على الإعتناء بنظافة قلوبهن، دافعن عنها بشراسة، إلى كل أنثى عرفت قدر نفسها، صلت صلاتهاو انساقت خلف أوامر الله، جعلت لجسدها و قلبها حجابا فضفاضا، عطرت لسانها بذكر الله، قالت نعم و فتحت قلبها لكل أوامر الرحمٰن فتعففت و بمكارم الأخلاق تأنقت و بالحياء تعطرت، اختارت أن تكون مع القلة الناجية على أن تتبع الكثرة المودية بالأحلام إلى التهلكة، إلى اللاتي أبصرن طريق الهدى فكن من الصابرات المحتسبات...

هي ملكة...

لم تكن بحاجة لتاج لتغدو ملكة، ابتسامتها الفخمة كانت ملكية بإمتياز، ملامحها التي تخبئ بين مسماتها بذور الفل كفيلة بأن تتوجها أميرة! تلك الأحاديث المنتقاة بعناية تامة و كأنها عطور فاخرة لا تليق إلا بالملوك، كانت حينما تنطق تنثر عبق الورد، جميلة جدا هي حين تقرر أن تلون وجهها بضحكتها التي تبدو شديدة البهاء! أحيانا بعض الضحكات تبدو كسلم متين! نرتفع من خلالها درجات في سماء الأحلام و نبتعد بها أميالا عن الآلام، عن تلك الضحكات التي تأتي برفقة فوانيس لتقبر كوابيسنا...

من يستحق..

عليك أن تجيد فن التقدير، قدر كل أولئك الذين وجدتهم في صفك في لحظاتك التعيسة و العسيرة، الأوقات المريرة التي تصادفها هي أحسن كاشف للمعادن الداخلية، لا تسمح لأي ظرف كان أن ينسيك شخصا أخبرك بأنك جمهوره، كم هي مميزة فكرة أن تجد شخصا يتخطى الجميع ليبوح لك بحبه، يقتحم كل عقبة تقف في طريقك، لا ينسى أبدا أن يحيطك بدعواته الصادقة في كل سجدة يسجدها للعلي القدير، جاور أولئك الذين تشعر في حضورهم بأنك في أقصى درجات الجمال...

الحب يعني...

لا شيء يمكن أن يصف المعنى الحقيقي لكلمة حب أكثر من حديث النبي صلوات ربي و سلامه عليه عن رفيقة حياته خديجة رضي الله عنها"إني رزقت حبها" فبين بصريح العبارة أن الحب مثل باقي الأرزاق يهبه الله من يشاء و ينثره على قلب من يشاء، الحب هو ذلك الشعور المذهل الذي يجعل من روحين بأحلام واحدة! بنبض واحد، الحب هي تلك الكلمة التي يحيط بها النور من كل جانب، إنه الشعور المرهف بالنقاء المطلق الذي لا زيف فيه و لا دنس...

## الأنقياء...

و منهم من آثر أن ينثر الضوء على قلبه في الأسحار، قام و اللهفة تحيط بوتين قلبه، ينتظر تلك اللحظة التي تلامس فيها جبهته الأرض و يلامس بذلك قلبه الطمأنينة، استعدت دمعته النقية للقاء من بيده ملكوت كل شيء، تغلب على ذلك الهمس الذي وقف في طريقه، قام فتوضأ ثم هرع إلى الصلاة، ذكر الله ذكرا كثيرا، أبصر الطريق المختصر الذي يدغدغ روحه و ينثر عليها البهجة، اكتظ قلبه بتقوى الله، ناداه و هو موقن بالإجابة"يا الله يا أكثر من أحب، سدد خطاي و اجعل قِبلة قلبي ثابتة على حبك.."

حب من طراز خاص...

ملامحك توحي كما لو أنك واقع في حب الكتب،

السرور يسري من عينيك..

صدقت لقد أغرمت بأشياء لا تعرف طريقا للخذلان

و الخيانة، أشياء لا نقع في حبها و إنما نرتفع بها و

نسمو معها، الكتب و المكتبات، روعة الإهداءات،

تلك التصاميم الجذابة، المقدمات الرقيقة الانيقة،

الإقتباسات المنتقاة و التي تغذي أرواحنا و تروي

عطش قلوبنا! تلك النصوص التي نجد انفسنا فيه بعد

التيه و كل شيء يفوح منه عطر الحروف...

الخاتمة...

إنها حقيقة لا مفر منها بأن الحياة كثيرا ما تقسو على أرواحنا، تجعل دموعنا تتناثر هنا و هناك، تضطرنا للانكسار، و لكن العزيز المقتدر لن يجعل شعور الألم بداخلنا شعورا أبديا، ما أجمل أن تكون الخاتمة دعاءٌ انطلق من وتين القلب ليصل إلى من بيده ملكوت كل شيء، أحببت أن تكون الخاتمة أيضا مفعمة بالأمل لأن العيون التي تقرأ لا تستحق إلا أن تنعم بالنور الدائم فردوس أعلى يكتظ بالنعم أتمناه لكل من عانقت عيونهم هذا الكتاب...